تمت مناقشتها في أطروحة نالت درجة الدكتوراه :

تجربة القصيدة لدى الشاعر عبدالعزيز المقالح

تعتبر التجربة الشعرية القديرة للدكتور عبدالعزيز المقالح واحدة من أبرز التجارب الابداعية اليمنية والعربية وأهمها في الزمن الابداعي والادبي الحديث فهي تجربة فاعلة ومؤثرة اختطت دربا طويلا حافلا بالاستمرارية والاضافة والتجدد المتواصل والمتواكب لصيرورة وسيرورة القصيدة العربية في زمنها الجديد وما شهدته من تحولات متسارعة ولاهثة على مختلف المستويات ابتداءً من المضمون وانتهاءً بالشكل الذي لم تسلم القصيدة من كثرة اشكالاته وتباين المواقف إزاءه .. وبالتأكيد فإن الدكتور عبدالعزيز الشاعر والناقد والاديب بدؤوبيته التي لا تنقطع لا يبرح قطعا قلب هذه التحولات ومعاش تلك الاحوال التي عاشتها وتعيشها القصيدة في حقبتها هذه .. وذلك ما تعكسه بوضوح كتاباته النقدية ومقالاته الأدبية من جانب وما يتجلى بأكثر اتضاحا وترجمة في حال مجموع انتاجه الشعري .. وهو إنتاج كما يتسم بالاتزان والنضوج منذ فترات مبكرة من عمره .. فانه يحفل ويحتفي بالتجدد والمواكبة التي تتطلبها الكتابة الشعرية الجديدة كشرط أساس.

وبهذا فان تجربة كهذه التجربة المهمومة بعصرها وما حولها قدر اهتمامها بجوهرها وذاتها لتجربة جديرة بالاهمية والتدارس والتناول .. وذلك مايترجمه القدر الكبير من التناولات والدراسات والقراءات والاطروحات التي حظيت وتحظى بهذه التجربة التي تستحق الكثير والكثير من ذلك نظرا لأهميتها وقيمتها وموقعها على الساحة الأدبية والابداعية العربية .

عرض/ جميل مفرح

الدكتور المقالح شاعر آثر أن يعيش الشعر كشعر لا أن يبدد وقته في البحث عن ماهيته

القراءات والدراسات والاطروحات والمناقشات التي تناولت تجربة الدكتور عبدالعزيز المقالح كثيرة وغنية وأعصى من أن نستعرضها أو حتى نعددها في هذا المكان وهذه المناسبة .. ولكن حسبنا الاشارة الى أحدث أطروحة عن هذه التجربة لنستعرضها استعراضا موجزا وهي أطروحة الدكتوراه للشاعر والناقد الدكتور عبدالسلام الكبسي الذي كان قد نال عن هذه الأطروحة درجة الدكتوراه من جامعة محمد الخامس بالرباط .. وقد طبعت هذه الاطروحة لأهميتها العلمية والادبية ضمن إصدارات وزارة الثقافة والسياحة بمناسبة صنعاء عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٤م.

الأطروحة جاءت تحت عنوان « تجربة القصيدة لدى الشاعر اليمني عبدالعزيز المقالح» وقد طبعت في أكثر من ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير في طباعة أنيقة ومتميزة .. واستهلت بمقدمة أو تمهيد أولي تناول فيه الباحث عددا من متعلقات الأطروحة من مثل ظروف ومبررات اختياره موضوعها والاشارة الى تميز التجربة الميدان (تجربة الدكتور المقالح) كما تطرق الباحث للصعوبات التي واجهته أثناء انجاز هذه الأطروحة ثم تعرض لوصف المتعلقات الأساسية بأطروحته كاصدارات الدكتور المقالح والمنهج الذي اتبعه الباحث .

ماهية القصيدة الشعرية

توزعت تناولات وموضوعات الأطروحة على ثلاثة ابواب تجزأت بالتالي الى عشرة فصول حرص الباحث من خلالها الالمام بالتجربة الشعرية المعنية و إن كان من الصعوبة بمكان الالمام بتجربة شعرية ثرية ومتنوعة وغنية في عطائها وسريعة في تحولها كتجربة الشاعر الكبير د. عبدالعزيز المقالح إلا أن الباحث قدم جهدا مميزا وقطع أشواطا لا غبار عليها مطلقا في دراسة هذه التجربة الثرة من خلال أبواب وفصول أطروحته هذه .

عني الباب الاول من الاطروحة بتناول « ماهية القصيدة الشعرية .. اختراق المسائل التنظيرية بالادلة النقدية » وتقاسم مادته فصلان اهتم الاول بماهية القصيدة والشعر عموما ومعناها وحدود الشعر الزمنية والفنية مقدما تساؤلا مجابا حول البداية الصحيحة للشعر العربي وتناول الشعر ككتابة عروضية ثم تطرق لاهمية الوزن العروضي في الشعر العربي مستعرضا الكثير من المقولات العلمية والتراثية حول ذلك ومتوقفا عند بعض منها للتأكيد على ضرورة الوزن والموسيقى واشتراطهما ولكن لم يغفل الباحث الاثارة الضرورية والهامة الى عدم الارتكان أو الاتكاء على الموسيقى والعروض كاشتراط اساسي يمكن الاكتفاء به عن غيره من مكونات الشعر بحيث يصبح المنتج مجرد نظم أو كلام منظوم كما ذهب بعض الدارسين القدامى ، كما وضع الباحث وبالاستشهاد ايضا مقارنة بين الشعر والنظم وخواص كل منهما ، مشيرا الى بعض ما يتمتع به الشعر دون غيره من خصائص واساليب .

وتطرق هذا الفصل ايضا الى فائدة الشعر وما يحققه أو يؤديه من وظيفة الامن حيث كونه « ليس مجرد قول يقال كيفما اتفق بل وبالقول الذي ينكشف من خلاله كل شيء، أي كل ما نتلفظ به وما نصوغه في لغة التخاطب اليومي» كما يرى هيدجر .. أو من حيث هو « نفس المعرفة المتردد وروحها الشفافة أو أنه مركز المعرفة أو علمها ولا من حيث تأثيره الاجتماعي إذ « ليس يؤثر في الاعراض والانساب فكم من شريف وضع وخامل دنيء رفع» كما يرى أبو هلال العسكري ولا من حيث ما يقدمه الشعر تجاه اللغة على نحو ما ذهب اليه الشاعريون في كل الشعريات ومنها لغتنا العربية .. ولا من حيث غير ذلك فما ذهب اليه الاولون من فوائد مرجوة ومرتجاه للشعر .. بل تناول الباحث علاوة على كل لك فائدة الشعر من حيث كونها تحقق فائدة المتعة ، حيث يرى أن الشعر نوع من المتعة لا يمكن تحققها على وجه الخصوصية مع أي فن آخر غير الشعر بامتياز .. ومن أجل ذلك فقد تميز شعر من شعر ، وارتقى شاعر دون شاعر من وجهة الذوق العام بالذات .. كما يرى الباحث في هذا الجزء من موضوع فائدة الشعر .. أما الجزء الآخر من هذا المنحى فينسحب الباحث فيه قليلا من العمومية الى الخصوصية متناولا ماهية الشعر وفائدته لدى صاحب التجربة الميدان الدكتور عبدالعزيز المقالح واستنباط إجابته غير المباشرة على هذين السؤالين من خلال رؤاه وآرائه وكتاباته النقدية والتنظيرية .. وكان مما عثر عليه الباحث كاجابة على سؤال ماهو الشعر ؟ ما ضمنه الشاعر المقالح مقدمته لأعماله الشعرية الكاملة - حينذاك - الصادرة عن دار العودة ببيروت سنة ١٩٧٧م .. إذ يقول الدكتور المقالح.. سؤال قديم ، جديد ومحير .. يذكرني دائما بسؤال أقدم منه أكثر إثارة للحيرة وهو : ما الحياة ؟ واذا كان الواقعيون - من فلاسفة العصر - قد آثروا أن يعيشوا الحياة بدلا من ان يبددوا أيامها القصيرة في التعليل والتفسير ، فإن على الناس والشعراء منهم - ان يعيشوا الشعر ، ان يقرأوه ويكتبوه بدلا من البحث عن ماهيته ومنابعه .. » كما يشير الدكتور في موضع آخر من مقدمته تلك الى انه في صدر بعض دواوينه وأعماله المنشورة محاولات مختلفة للاجابة على هذا السؤال ، لكنه سرعان ما يستدرك الى أن يذهب الى أن تلك المحاولات سريعا ماكانت تنزلق من التعريف بالشعر نحو تعريف وظيفته ، من الماهية الى القضية .. .. ثم يستعرض الدكتور المقالح تلك المحاولات ابتداء من اول أعماله « لابد من صنعاء» ومرورا بديوانه المشترك مع الشاعر الكبير عبده عثمان « مارب يتكلم» وديوان « رسالة الى سيف بن ذي يزن » قديوانين « هوامش يمانية على تغريبة ابن زريق البغدادي» و« عودة وضاح اليمن» الى أن يصل ذلك الحين - أي حين كتابة المقدمة المذكورة عام ١٩٧٧م - الى انه - أي الدكتور المقالح - قد قال كثيرا حول ماهية الشعر خصوصا في مقدمات كتبه .

إلا أن سؤال : ما الشعر ؟ ما يزال قائما .. ثم يقول :« وقد يكون من الافضل أن أترك الاجابة على هذا السؤال للشعر نفسه ، فربما كان في مقدوره - إن كان شعرا - أن يجيب عليه !!..

ومن هنا ومن خلال قراءة هذه المقدمة يتضح أن الشاعر والدكتور عبدالعزيز المقالح المقالح آثر أن يعيش الشعر كشعر ، لا أن يبدد وقته في البحث عن ماهيته ومن جانب آخر يتجه الباحث للبحث عن فوائد الشعر لدى الدكتور المقالح الذي يرى ان للشعر وظائف خطيرة يؤديها كفاعل، كونه « صوت الشعب» والصورة الداخلية لأعماق الانسان والفنان معا .. صوت النضال .. المخلص الوحيد القادر على صد العدوان الخارجي والداخلي على السواء، الوسيلة نحو يمن جميل جديد موحد ، يمن المحبة والعدل الاجتماعي ، يمن الثورة والفقراء والطلبة المهاجرين ..

ثم أشار الباحث معلقا على ذلك بقوله : واذا كان الشعر هو الحلم أو أنه ضرب من ذلك ، فقد بدأ الشعراء في بلاد الشاعر « اليمن» يحلمون بتغيير الواقع ، وكان الشعر وسيلتهم الى تحقيق ذلك الحلم .. ومن خلال الرغبة في التغيير يقول الدكتور المقالح :امتد الحلم على محاولة تغيير القصيدة ، بل والعالم بهذه الأخيرة - والحديث يتواصل في تعليق الباحث- نستطيع قراءة عبدالعزيز المقالح لا من خلال طروحاته الشعرية والتنظيرية والنقدية فحسب ، بل وأشعاره كتجارب لها حق الامتياز .

● الفصل الثاني من الباب الأول خصصه الباحث لتناول التجربة في القصيدة الشعرية وفيه لم يبارح سؤال : ما الشعر ؟ ليظل وهو يتناول القصيدة كتجربة متعلقا بالسؤال ذاته وإن بشكل آخر أو بأكثر تحديد فهو هنا يتساءل عن ماهية القصيدة ثم يمتطي باحثا في ما جاء في ذلك عند المنظرين العرب والاجانب .. وفي المعاجم العربية متوقفا عند أهم تلك التعريفات - وممن رجع اليهم في تعريف ماهية القصيدة حون كوهن وابن منظور في لسان العرب .. وقدامه ابن جعفر وديفد ديتشس وابن خلدون وابن سلام الجمحي ومحمد بنيس وبن رشيق .. ثم انتقل الى تناول مفهوم التجربة ليستعرضه على مستويين المستوى الاول في الثقافة العربية وهنا يمر على آراء وتعريضات جملة لكل من محمد بنيس وعبدالمجيد زراقط وادونيس مؤكداً على ضرورة ما يراه ادونيس حول ضرورة التفريق بين مصطلحي التجربة والتجريب ويشير إلى أن ما يدعم ذلك وجود تعريف لنموذج غير عربي يفرق فيه بين التجربة والتجريب على نحو دقيق ذلك التعريف جاء به جاكوب تورك في كتابه «اللغة في الأدب الحديث.. الحداثة والتجريب» ويرى فيه أن «التجربة مصطلح فني يدل على منهج بعينه في صياغة التجربة الفنية وهو يخص بنية الألفاظ واختيارها.. ولكن التجربة أمر مشترك عند جميع الفنانين ولا يخلو أي عمل منها، لذا اقتضى التفريق بينهما في الاستخدام»..

ثم يعود الباحث إلى التنقيب عن مفهوم التجربة في لسان العرب ليجد أن الحوض الدلالي للكلمة محدد بمعنى الخبرة أولاً، وبمعنى الاختبار ثانياً ثم بمعنى المعرفة ثالثاً.

ثم يتحول الباحث إلى مدلول كلمة التجربة في الخطاب الثقافي القديم ويتوصل بعد رصده للكلمة في عدد من الخطابات الثقافية العربية القديمة إلى أنها- أي كلمة تجربة- لا تخرج عما قدمه لسان العرب واستشهد بعدد من الخطابات والعبارات الواردة فيها اللفظة ثم أثبت الباحث أن الكلمة تجاوزت ذلك المعنى القاموسي بمفهومها لتصبح في خطاب الشعر المعاصر بمعنى: المعاناة الذي أصبح متداولاً في الخطاب الشعري واستدل على ذلك بشيء مما جاء في رسائل الشاعر المعاصر بدر شاكر السياب الذي يطلق عليها التجارب الخارجية.. فالسياب يقول في إحدى رسائله: لا أنقطع عن كتابة الشعر، إنه العزاء الوحيد الذي بقي لي. وإن كنت لا أكتب إلا بين فترات طويلة، المشكلة مشكلة تجارب، من أين تأتي التجارب الجديدة وأنا أعيش على هامش الحياة؟!».

وتناول الباحث في هذا الفصل أيضاً تصنيف التجربة عند الشاعر وكيف تتم العملية الإبداعية وقدم تصنيفاً جديداً للتجارب الشعرية مؤكداً على أن الشعراء خمسة: الأول قدم اختلافه «المختلف» دون بقية الشعراء، والثاني قدم إيقاعاً شخصياً به يعرف ويسم، والثالث حقق لقصائده أقصى مدى من الشاعرية، والرابع وضع صياغة نهاية لمعنى واحد أو لبعض معاني التجربة الإنسانية في علاقتها بالوجود والموجود.. أما الشاعر الخامس فيرى الباحث أن كل هؤلاء جميعاً «مختلف، له إيقاعه الشخصي، تتميز أغلب قصائده بالشاعرية، له صياغات نهائية.. مؤكداً على أنه ما عدا هؤلاء الخمسة ليسوا سوى عشاق أو تاريخ أو لا شيء..

تصنيف التجربة الشعرية

وبشأن التصنيف خصص الباحث الباب الثاني لتناول تصنيف التجربة الشعرية وذلك من خلال تقسيم رباعي اعتمده وهو تقسيم يرتكز على:

الاختلاف- الايقاع الشخصي- الشاعرية والأسلوب- الصياغة النهائية..

وتناول كلاً منها على حده باعتبارها شروطاً لتحقق الشعرية.. ففي الاختلال تطرق لمفهوم الشاعر المختلف لدى الشاعرين ثم تناول الاختلاف لدى المعاصرين وتوقف ملياً عند الاختلاف في تجربة الدكتور عبدالعزيز المقالح وهي التجربة الميدان للبحث.. ليصل إلى أن الاختلاف عنده يتحقق من خلال لحظتين فريدتين.. اللحظة الأولى تتجلى لتكون شعراً يمنياً عربياً.. وهي لحظة لا تقف على خط الموازاة أو التماثل مع إحدى محطات التجربة الشعرية العربية، بل هي لحظة تنهض بتجربة شعرية لها زمنها وتاريخها وقولها الخاص.

وذلك برفض الشاعر النقل والتقليد وبحرصه على قول ما هو يمني أو قول المعاناة اليمنية وتوخيه عدم الانزلاق نحو شكلية خاوية.. أي أنه مع المقالح يبدأ شعر الاهتمام بالموضوع من حيث هو لحظة أخرى.. غير أن الموضوع ليس عند المقالح سوى الكتابة نفسها.. ذلك أنه لئن كان الزمن اليمني في ماضيه وعلى مستواه المعيشي كما على مستواه التعبيري الثقافي عن هذا المعيش، هو زمن الصمت والموت، الزمن الذي يقمع القول ويقتل التعبير، فإن التعبير/ الكتابة يصير هو الموضوع، لأنه هو حياة الزمن في تشكله الفعلي، أو هو ممارسة هذا الزمن علاقات بين الناس وعلاقات بموجودات العالم.. إنه مجمل السلوكات الواقعة على اختلافها وتنوعها ضمن تنظيم اجتماعي، إنه النطق الخام والقول المشغول، وهو في ذلك كله إشارة الحياة، نسغها وايقاع حركتها.. بالتعبير/ الكتابة يتجسد الزمن فعلاً مادياً، ويتمظهر الوجود» كما تشير الدكتورة يمنى العيد في قراءة لها في شعر المقالح.. والتي ترى أنه في هذا الضوء يمكن القول: إن اهتمام الشاعر بموضوعه ليس سوى اهتمامه بالكتابة نفسها من حيث هي فعل يعيش زمن صراعه مع قائليه، ومن حيث هي فعل يعيش زمن تكونه ووجوده، والكتابة بهذا الاهتمام تأبى أن تكون مجرد تحبير يغيّب معاناة الناس أو يدفنها في اجترار قول ليس هو قولها.. فالمقالح لا يكتفي بالتعامل مع المكتوب، الشعري، العربي ولا يقتصر عليه كمرجع ثقافي، بل يحرص على تحويل المحسوس اليمني إلى لغة وعلى جعل ظلم الناس وجوعهم وموتهم يقول ماله رغبتهم في العيش، ومثل هذا الحرص لا بد أن يواجه معاناة تحقيق شعريته الخاصة ضمن العلاقة بمرجعيتها التاريخية المزدوجة، المكسورة في جانبها العام والمقتولة في جانبها الخاص «وذلك أيضاً حسب» «يمنى العيد».

وقد خلص الباحث مما طرحته الدكتورة يمنى العيد إلى أن:

١- تجربة المقالح جزء لا يتجزأ من التجربة الشعرية المعاصرة العامة.

٢- الاختلاف عند المقالح إزاء التجربة العامة يتحقق من خلال لحظتين فريدتين هما:

أ- تجربة المقالح لها زمنها وتاريخها وقولها الخاص.

ب- تميزها، على وجه القصر، بما يسمى شعر الاهتمام بالموضع إزاء اهتمام التجربة العربية المعاصرة عامة بشعرية الشكل.

إلى جانب تناوله لدراسة الاختلاف عند المقالح التي قدمتها يمنى العيد تطرق الباحث إلى تناولتين أو دراستين مماثلتين الأولى للشاعر والأديب الراحل عبدالله البردوني والثاني الدكتور كمال أبوديب وقد توصل من تناول الثلاث الدراسات ومناقشتها إلى تحقيق صفة الاختلاف والتميز في تجربة الشاعر المقالح بامتياز.

القصل الثاني في تصنيف التجربة هو الايقاع الشخصي.. وتطرق الباحث في مستهل تناوله إلى الاشارة إلى جدة هذا الايقاع في الخطاب النقدي المعاصر ثم تناول هذا الايقاع من الذات إلى الأسلوب واعتباره كاسلوب ثم تناوله عند بعض الشاعرين القدامى ثم ليحضر أو يتجه فيما بعد نحو التجربة الميدان لمناقشة الايقاع الشخصي عند الدكتور المقالح، وقد قام برصد حالات تأكيد توافر الايقاع الشخصي بشواهد من نصوص المقالح تمثل العناصر التي تساهم في بناء هذا الايقاع.

وتطرق في هذا الفصل إلى خصوصية التجربة الشعرية في ديوان أبجدية الروح للدكتور المقالح متوقفاً على بعض الأساليب والظواهر التي تتميز بها قصائد المقالح في هذا الديوان مثل الرموز والصبغ والسؤال.

واستنبط جملة من السمات الأسلوبية العامة في تجربة الدكتور المقالح منها انسحاب التجربة إلى الماضي والتعبير بصيغة الشرط واجتراح الرموز على نحو الابتداء.

الفصل الثالث من هذا الباب جعله الباحث لتناول الشاعرية «اللاأسلوب» وتناول فيه الممكن العام في قصيدة التجربة ومأتى الشاعرية أو «القصيدية» عند القدماء أمثال الجرجاني وابن رشيق والمرزوقي، وكذا تناول في هذا الفصل الشاعرية في غياب الأسلوب الواحد،، ثم انتقل الباحث بالتخصيص إلى تناول الإخلاص لعمود الشعر العربي عند الدكتور المقالح، وتناول بالقراءة والتحليل نموذجين من انتاج الدكتور المقالح تمثلا في قصيدتي «رسالة إلى الزبيري» و«العبور» معرضاً على معجمهما الشعري والوحدة الموضوعية وبعض السمات والأساليب التي تميز بها الشاعر في كتابه هذا الشكل كإحسان الاستهلال والمقاربة في التشبيه ومناسبة المستعار للمستعار له والتداخل والنعي وغير ذلك مما استدل به الباحث على تحقيق شروط الشاعرية.

الفصل الرابع والأخير من الباب الثاني هو الضلع الرابع من الأضلاع التي يرتكز عليها تصنيف التجربة الشعرية عند الباحث وقد خصصه «للصياغة النهائية» وفيه بيّن مفهوم الصياغة النهائية للتجربة الإنسانية، واستقصاها في الصور القديمة، ليصل بعد تلك إلى تناول هذه الصيغة في تجربة الدكتور المقالح ليتوقف من خلال استقراء عدد من النماذج والنصوص على أنماط من الصيغ التي تميزت بها التجربة في حدودها ومن الصياغات الشعرية التي توقف عندها ما تجلى في معان إنسانية عامة كالصداقة والحرب والموت والوطن، وفيما يتعلق بالشعر من حيث دوره في التعبير عن معاناة الأمم والشعوب إلى غيرها من المعاني وذلك في نمطي الكتابة الشعرية لدى الدكتور المقالح «العمودي والتفعيلي».

مقاييس التجربة في الشعرية العربية

الباب الثالث من الأطروحة جاء تحت عنوان "مقاييس التجربة في الشعرية العربية القديمة والمعاصرة" منقسما على فصلين استعرض الباحث في أولهما المقاييس الشعرية المشهورة قديما كتمهيد للوصول إلى المقياس الشعري المعاصر الوحيد الذي كان قد اجترحه حسب الباحث ادونيس، دون أن يفطن إلى أهميته، وخصوصا عند القطبين، من حيث تخليه - أي أدونيس - وبقية الشاعريين المعاصرين عن استعمال المقاييس أثناء قراءاتهم للتجارب الشعرية.. لا لعلة سوى أنهم قد اتجهوا إلى التنظير لا النقد كما يشير الباحث الذي نوه بأن ذلك كان له أهمية كبيرة في قراءته لتجربة الدكتور المقالح في الفصل الثاني من هذا الباب عبر المقياس الذي يشير الباحث إلى أن خطورته وجدته تأتي من استيعابه لأهم ما في التجربة الشعرية عامة من خصوصية وتفوق حد القطيعة على السائد المألوف أحيانا وعلى مستوى الثقافة العربية كلها، كقطيعة معرفية مثلا.. وذلك كما يشير الباحث أيضاً عبر ثنائية مميزة هي ثنائية الائتلاف والاختلاف، في الذهاب والمجيء، في الصوت والصمت، وفي التقليد والمغايرة..

الفصل الأول تناول نفي إمكانية وجود مقاييس مناقشا ذلك عند من رأوا بذلك النفي وعند من قابلهم في ذلك ورأى إمكانية وجود مقاييس وذلك من خلال محاور عدة كجعل الذوق مقياسا والقلة والكثرة والصدق والكذب والحقيقة والمجاز والمطبوع والمصنوع واللفظ والمعنى ثم الائتلاف والاختلاف..

أما الفصل الثاني فقد حصره الباحث على آخر هاتيك الثنائيات: ثنائية الائتلاف والاختلاف كمقياس لتجربة القصيد وفيها تناول صلاحية المقاييس القديمة في تقييم التجربة، ثم انتقل لتناول هذه الثنائية كمقياس في تجربة الدكتور المقالح وذلك بالتطبيق على نموذجين من إنتاجه، الأول عبارة عن تجربتين شعريتين على التوالي تمثلتا في قصيدتي (البرجوازي) و(يهوذا).. أما النموذج الثاني فحدده الباحث في ثلاث قصائد شعرية تشير بوضوح إلى الكيفية التي تطورت بها تجربة الشاعر مؤكداً على صلاحيتها كأمثلة نموذجية بمقياس الائتلاف والاختلاف.. هذه القصائد هي: (تقاسيم على قيثارة مالك بن الريب)، (لابد من صنعاء)، (كتاب صنعاء) وقام الباحث بقراءة هذه القصائد عبر مقياس الائتلاف والاختلاف عبر لحظتين نقديتين: الأولى من خلال البناء على وجه الكيفية، والثانية في مدى نجاح ذلك في التعبير عن الموضوع الواحد الذي يقصره الشاعر على صنعاء: المكان/ الزمان (أي الفضاء)..

نحو مقترح نقدي تصنيفي جديد

هذا هو عنوان الباب الرابع من الأطروحة ويتكون من خمسة فصول قدم الباحث في أولها تمهيدا يتعلق بأهمية الشعر من حيث كونه الهوية كوجود، واسم لأية أمة من الأمم، في علاقته بالدين، وقد ذهبت مسالكه بالباحث إلى سؤال النقد: لماذا لم يتجدد الأقدمون؟ ومن ثم محاولة الإجابة عنه بالجزم اقتصار الشعراء على خمسة ليس في الثقافة العربية فقط وإنما في عموم الثقافة الإنسانية..

وجاءت في الفصل الثاني محاولة من الباحث لتقريب الرؤية إزاء أربعة شعراء وجدوا في عصور متباينة ومتباعدة أسماهم الشعراء المركزيين وهم: امرؤ القيس (العصر الجاهلي)، الكميت بن زيد الأسدي (العصر الأموي)، أبو تمام (العصر العباسي)، ادونيس (الزمن المعاصر).. وأطلق على هؤلاء الشعراء وصف (المركزيين) مبررا بكونهم أسسوا لقطيعة ما لا تتكرر في الثقافة العربية برمتها باعتبار كل منهم خلاصة لعصره، كذوات جمالية متفوقة باختلافها وبإنجازها منهجا شاملا في لحظة لا تتكرر بمجرد الرغبة ودون أية ثقافة..

الفصل الثالث من هذا الباب عالج مسألة الإيقاع الشخصي وجاء في عنوان (صوت الشاعر في تناغم الكلمات معه) وفيه تناول التعبير المشهدي لدى زهير أبي سلمى وأسلوب الخطابة عند الكميت الأسدي والبديع عند أبي تمام وتصدير القصيدة لدى المتنبي.. ثم تناول الإيقاع لدى محمود درويش.. ذلك كان حول الإيقاع الشخصي كأسلوب من الدرجة الأولى، أما بكونه كأسلوب من الدرجة الثانية فناقشه الباحث عبر نماذج كثيرة من عصور مختلفة.. محاولا التفريق بين ما هو أسلوب وبين ما هو ظاهرة تتجلى بعدد من السمات..

الفصل الرابع أطلق عليه الباحث اسم (الشاعرية) وقسمه على ثلاثة أقسام الأول للشاعرية من الدرجة الأولى (المعارضة) وأورد فيه تقاليد شعرية قديمة مستشهدا بمعارضته امرئ القيس لعلقمة الفحل وابن الرومي لدعبل وأخذ بشار من نونية جرير وغيرها من الأمثلة التي تدرجت زمنياً إلى أن وصلت إلى أحمد شوقي، ووصولا إلى تجربة الدكتور/ عبدالعزيز المقالح كنموذج للمعاصرين حين عارض بقصيدته المعنونة بـ(هوامش يمانية في تغريبة ابن زريق البغدادي) قصيدة ابن زريق التي نظمها في غربته بالأندلس.

أما القسم الثاني فكان للشاعرية من الدرجة الثانية (تعدد الأساليب) وتوقف فيه عند كعب بن زهير واعتذاره للذبياني.. ثم تناول في القسم الثالث - حسب تقسيمه - الشاعرية من الدرجة الثالثة (استعارة الإيقاع) أي استعارة إيقاع شعري بعينه..

الفصل الخامس عنوانه (الصياغة النهائية) وورد فيه التأكيد على واحدية الأصول في المعاني وعرض لتقييم الأداء والسلم التصاعدي والتنازلي لهذه الصياغة.. وتوقف الباحث فيه أيضا عند الصياغة الأولية وإعادة الصياغة وتعدد أنواعها..

خاتمة

اختتم الباحث الكبسي أطروحته هذه بمجموعة من الملاحظات والنتائج والأحكام في إطار التجربة الشعرية للدكتور/ عبدالعزيز المقالح ومدى تمثل هذه التجربة، ومدى إخلاصها لشرائط التجربة عموما مقدماً تخطيطاً هندسيا يحاول من خلاله تجسيد مستويات التجربة المقالحية على نحو تدرجي كاقصى وأدنى، أو درجة أولى فثانية وثالثة مقدما قراءة لهذه التجربة إزاء قديم التجربة العربية ومعاصرها عند الشعراء المهمين بالذات.. وتقصى الباحث اختلاف الدكتور المقالح واعتبره شاعر تجربة وعلاقته بالمركز والمحيط ثم انتقاله من الشكل التقليدي للقصيدة العربية بمعجمه وتراكيبه وهيكله البنائي إلى الشكل الجديد بكل شخصياته الفنية والمعنوية.. تضمن الكتاب والأطروحة بملحق احتوى على تعريف بالشاعر الدكتور عبدالعزيز المقالح وسرد موجز لبعض محطات حياته الإبداعية إلى جانب قائمة باصداراته الشعرية وأعماله النثرية وعدد مما صدر عنه من مؤلفاته ورسائل وأطروحات باللغتين العربية والانجليزية.. كما تضمن الملحق قصيدتي (أغنية الرماد) و(بكائية) من ديوانه "أوراق الجسد العائد من الموت" وثلاث قصائد أخرى اعتقد الباحث بعدم نشرها مسبقا وهي: (ما تيسر من رعشة الخوف" "بياض اليقين"، "خمس لوحات".. إضافة إلى بيان ثقافي وحوار أدبي كان أجري مع الدكتور المقالح في زمن متقدم على إنجاز هذه الأطروحة.

■ محمود درويش

■ أدونيس

■ محمد بنيس

■ البردوني

❑ يرى المقالح أن للشعر وظائف خطيرة يؤديها كفاعل كونه صوت الشعب والصورة الداخلية لأعماق الانسان والفنان معا

❑ يرفض الشاعر المقالح النقل والتقليد بحرصه على قول ماهو يمني أو قول المعاناة اليمنية دون الانزلاق نحو الشكلية الخاوية